"رقـــمـــي 13"

لا يمكن ان تمر ذكرى 13 تشرين الاول من دون ان يتذكّر اللبنانيون مأساة المعتقلين في السجون السورية، وبينهم عسكر ورهبان ومدنيون. صحيح ان لجاناً رسمية شُكّلت ولكن التقارير لم تصدر يوماً.

اذا أفسح لبعض من خَبِر الاعتقال ان يتكلم، فماذا يقول؟

علي ابو الدهن من اقدم المعتقلين، يروي لـ"النهار" تجربته الممزوجة بالعذاب والذل. ولعل القدر هو ما جعل الرقم 13 يرافقه كظله، فهو امضى 13 عاماً معتقلاً، وبقي 13 يوماً مقيّداً، وبدل اسمه برقم 13 ايضا. هو غير حاقد ولا يطلب الا المساعدة لاعانة اولاده. يقول: "13 عاماً من القهر والذل والعذاب، كانت عنواناً صارخاً لانتهاك شرعة حقوق الانسان.

توقفت عن الحياة حين اعتقلت في 27/12/1987 في سوريا. اقتدت الى فروع التحقيق العسكري، فأخضعت لاقسى انواع التعذيب التي اصبحت شائعة ومعروفة لكثرة المعذبين. ومن هذه الانواع، الدولاب والكرسي الالماني والكهرباء وبساط الريح والسلم والتعذيب النفسي فضلاً عن الاهانات والشتائم. وُضعت في غرفة منفردة تسعة اشهر ونصف شهر، وبقيت 13 يوماً والاصفاد في يدي، معصوب العينين. وللصدق كانت تفك قيودي يومياً ثلاث مرات ولمدة خمس دقائق للاكل وقضاء الحاجة. هذه الغرفة المنفردة اللعينة بدّلت اسمي برقم 13. واضافة الى الذل والعذاب، تميزت هذه الفترة بطول مكوثي في غرفة منفردة عرضها 90 سنتيمترا، وطولها 190 سنتيمترا وسط عتمة لا تُحتمل. حتى اصبعي لم اكن لاراه... تساءلت: هل انا المسبّب بالحرب الاهلية اللبنانية؟ ام المساعد للاحتلال الصهيوني؟ ام المنسق لدخول الجيش السوري؟...

بعد انقضاء الاشهر التسعة، نقلت الى سجن تدمر العسكري. هناك كنا ننادي يومياً الملكة زنوبيا التي بنت هذا المعتقل اللعين. لا ادري كيف بقيت على قيد الحياة؟ الله كان معي. كنت افكر دائما في وطني. ما حل به من ويلات ومصائب. فكرت في بعض السياسيين المنقادين والمنبطحين والزاحفين متناسين قَسَمهم العظيم بحماية الدستور والوطن... اهملوا كل الثوابت، وتنازلوا عن مصلحة البلاد. وكانت النتيجة ان بقوا هم صامدين فيما اقتيد مَن مانع وعارض الى السجون او هجّر. ولا احد يعرف طعم السجن الا مَن جرّبه. فكرت وتمنيت لو كنت مسؤولا لقلت لجميع الغرباء اتركونا بسلام، لا اريد اي جندي اجنبي على ارضي، او استقيل لإحافظ على كرامتي، ولكني لست مسؤولاً.

بعد 13 عاماً، افرج عني بعفو من الرئيس السوري بشار الاسد في 15/12/2000. يومها، تمنيت لو لم ارَ النور ثانية، فقد علمت ان امي ماتت من دون ان تراني. ماتت بحسرتي ولوعتي. وخسرت كل مدّخراتي كي تعيش زوجتي وبناتي بكرامة! لم يساعدنا احد. الدولة اهملتنا. الجميع ابتعدوا عنّا او خافوا منا، فيما نحن في امسّ الحاجة الى مساعدة مادية لتعليم اولادنا، فانا لم اجد عملا الا قبل شهرين. ولولا جمعية "عدل ورحمة" و"مؤسسة حقوق الانسان والحق الانساني - لبنان" لما التفت الينا احد، فكان لهما الفضل بتأهيلي. لولاهما لكنت ضائعاً... تائهاً... وربما افكر بالعودة الى السجن ثانية.

علي ابو الدهن

(من اقدم المعتقلين اللبنانيين في السجون السورية).

النهار - ١٣/١٠/٢٠٠٤